

نظام الانسجام في التعامل الصوتي

الدكتور : الهواري قارة حدّاش

جامعة السانية - وهران

كل ائتلاف بين صوتين أو أكثر من ذلك في اللغة العربية فهو انسجام تام بين هذه الأصوات. و إذا انعدم الانسجام لأدنى علة، امتنع الائتلاف و كل تعامل صوتي مهما كان نوعه بين الأصوات، فهو كذلك انسجام. و كل ما يسمى عند أهل هذه الصنعة بالاقتصاد في الجهد، أو التخفيف عن المتكلم أو السهولة في النطق أو غير ذلك مما يصفون به هذه الظاهرة، فهو نتيجة مباشرة لهذا الانسجام. و كل انسجام صوتي يتولّد عنه الاقتصاد في الجهد، والتخفيف عن المتكلم و السهولة في النطق و الحسن في الأداء والنعومة في التّنقّس. فالانسجام سبب، وكل ما ينتج عنه فهو نتيجة. و شتان بين السبب والنتيجة. فعندما لا تأتلف العين صوتا ثانيا بعد الهمزة في بداية الجذر هذا يسمى عدم الانسجام. وعندما لا تأتلف الخاء والعين و الغين في بداية الجذر مع الهمزة في وسطه، فهذا عدم انسجام بين الهمزة و العين و الغين و الخاء في الائتلاف في وضع بعينه. و عندما لا تدخل الغين صوتا ثانيا على صوت الخاء في بداية الجذر، و عندما لا تدخل أصوات الظاء و العين والغين و الباء على الخاء في وسط الجذر، فهذا كذلك عدم انسجام بين هذه الأصوات في الائتلاف، فكل عدم ائتلاف فهو عدم انسجام. و نهاية القول في الانسجام في الائتلاف بين الأصوات، أنّ كل جذر مستعمل في اللغة قد خضعت أصواته في ائتلافها إلى الانسجام. وكلّ جذر غير مستعمل لم يدخل في عداد ألفاظ اللغة فإنّ أصواته لم تنسجم فيما بينها، فلم تأتلف. بعد ائتلاف الأصوات في جذورها، و بعد تحولها من جذر ثابت إلى صيغة متحركة قابلة للامتزاج في الكلام العربي، فإنّ هذه الصيغة تتألف تحت الرعاية الكاملة للانسجام. فكل تعامل صوتي داخل اللغة إلّا وله نظام يحكمه.

كل تعامل صوتي في اللغة، مهما كان نوعه أو كثرته أو قلته، إلّا مرتبط بالانسجام الطبيعي بين الأصوات. و كل تعامل إلّا خاضع في جوهره لقوة الصوت أو ضعفه و لموقعه الذي يدرج فيه.

كل صوت في الجهاز الصوتي إلّا له قوة كامنة فيه، و على أساسها يتعامل مع غيره من الأصوات. قوة الصوت تستمد من المخرج و الصفات. إذاً كل تعامل بين صوتين فهو تعامل بين قوتين غير متضارعتين، إمّا قوة متقدمة عن ضعف أو ضعف متقدم عن قوة. و لكلّ حالة تعاملات صوتية محددة و واضحة.

القوة المتقدمة عن الضعف تتصل في انسجام تعاملاتها بصيغة افتعل، لأن الغالب في صوت الفاء أن يكون أقوى من التاء كالصاد و الطاء و الضاد و الظاء و الدال و الزاي و الذال. و الضعف المتقدم عن القوة يتصل في انسجام تعاملاته بظاهرة الإدغام في اللغة.

" وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ " بونس

هنا لابد من ءوضىء مسألة المءلن فى الآىاء القرآنىة المءكورة، فى الآىة الأولى " أقل ءكم " هنا أءغمء اللام فى اللام، ولا إشكال. أمآ فى الآىة الءانىة و الءالءة، الظاهر لمن لا ىءقق النظر، فىقول أن الءاء فى الءاء هى الءى أءغمء فى الءاء، وهذا فىر صءىء، والءق أن الءاء ارءفعء إلى مسءوى الءاء لأن الءاء مطبقة، والإطباق أقوى من الءرقىق، والصوء فى الإءغام ىرءفع من ضعف إلى قوة ولا ىنزل من قوة إلى ضعف كما سىظهر ذلك ءلىآ فىما فى فى هذا البءء.

فهنا ءأءرء الءاء بالءاء، فأءءء منها الإطباق، فأصبءء طءاء، فالىءء مع طءاء طاءفة فأءغمء فىها، إءن الإءغام كان بىن المءلن، ولىس بىن المءقاربىن كما هو شاع فى كءىر من الكءب الءى ءناولء الإءغام.

وكذلك هذا ما ءءء مع النون والراء، فهنا لم ءءغم النون فى الراء، إنما ارءفعء النون إلى الراء، لأن النون هى أءف من الراء، لأن الءففىف ىصعد إلى القوى و لا بءء الراء أبءا ءصعد إلى النون، فلما أصبحت النون فى مسءوى الراء أى أصبحت راءا بالءعل وءءء بقرىها راء رب العالمىن، فأءغمء فىها، ولا ىءغم فى اللعة إلا المءلان.

و هذا ما ىءءء مع النون الساكنة ءىن ءلءقى مع النون المءءركة أو الواو أو الىاء أو اللام أو الراء أو المىم المءءركة، فإنها ءصعد فى القوة إلى أن ءصل فى قوة الصوء الذى ىلىها ءم ءءغم فىه. و ىءءء هذا كذلك مع اللام ءىن صعوءها إلى مسءوى الراء وإءغامها فىها. و نرى الأمر نفسه مع الءاء و الءال و الءال و الءاء و سنمءل لكل ءالة بما ءاء فى القرآن الكرىم.

واعلم أن الصوء لا ىءغم فى مءله إلا إذا كان ساكنا من طبعءه، ولا ىبوء ءسكىن الصوء أولا ءم إءغامه بعء ذلك، لأن السكون ءركة مسءقلة و أساسىة و لابد من أءءها بعىن الءءبار وإن كانت أءف من الكسر و الءضم و الءءء. و لابد للصوء الءانى أن ىكون مءءركا و إلا امءءع الإءغام بءانا. و الصوء الساكن أضعف من مءله المءءرك لأن السكون أضعف الءركاء.

قال ءعالى: " فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ أُعِدَّتْ

لِلْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾ ". البقرة

قال ءعالى: " وَذُكِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۗ

كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ

فِىهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ ". البقرة .

قال ءعالى: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ". البقرة

قال تعالى: "إِنَّ هِيَ إِلَّا **مَوْتُنَا** الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ" ﴿١٣٥﴾ "الدخان.

قال تعالى: "**وَاسْتَفْزِرْ** مَنِ **اسْتَطَعْتَ** مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ **وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**" ﴿١٣٦﴾ "الإسراء

في الآية الأولى، سكون النون سمح بالإدغام، وفي الآية الثانية تحرك النون لم يسمح به و في الآية الثالثة تحرك اللام منع إدغام اللام في اللام، وتحرك النون في نحن كذلك منع إدغام النون في الميم وتحرك كل من التاء والزاي والتاء في موتنا واستفزز و استطعت وهي كلها في كلمة واحدة، ولم يسمح لها بالإدغام.

ونقول كذلك: "صددته، و شددت الحبل وشققت الأرض."

واعلم أن أصل الإدغام لا يكون إلا في اتجاه واحد من الأول إلى الثاني في اتجاه سير الهواء من الداخل إلى الخارج، ولا يجوز العكس أبدا.

قال تعالى: "وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا **بَلْ نَتَّبِعُ** مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا **أَوْ لَوْ** كَانِ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ" ﴿١٣٧﴾ "البقرة

قال تعالى: "بَلْ **ظَنَنْتُمْ** أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوًّا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا" ﴿١٣٨﴾ "الفتح

قال تعالى: "بَلَىٰ ۚ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا **يُمَدِّدْكُمْ** رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ" ﴿١٣٩﴾ "آل عمران

قال تعالى: "رَبِّ **أَغْفِرْ لِي** وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ **مُؤْمِنًا** وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا" ﴿١٤٠﴾ "نوح

في الآيات الأربع توفرت كل شروط الإدغام من الثاني إلى الأول ولم يحدث هذا الإدغام، ففي بل نتبع أو ظننتم أو بمددكم أو اغفر لي توفرت كل أنواع الإدغام في الأصوات من المثلين أو المتقاربين في كلمة واحدة أو في كلمتين متجاورتين لا يفصل بينهما فاصل ولم يحدث الإدغام .

ويقول صاحب الكشف عن وجوه القراءات: "وهو على ضربين: أحدهما إذا كان الحرفان متقاربين في المخرج، والحرف الأول أضعف من الثاني فيصير بالإدغام إلى زيادة قوة، لأنك تبدل من الأول حرفا من جنس الثاني، فإذا فعلت ذلك نقل لفظ

الضعيف إلى لفظ القوة، فذلك حسن جيد. والضرب الثاني أن يكون الحرفان المتقاربان في القوة سواء كالمثلين، فيحسن الإدغام⁴.

و أحسن الإدغام أن يدغم الصوت الضعيف في الصوت الأقوى، أو في أدنى الحالات أن يتساوا في القوة ولا يجوز الإدغام أبدا من القوي إلى الضعيف أو من الأقوى إلى الأضعف .

ومن يملك الميزان الحسّاس ليحدد الصوت الضعيف من القوي، والصوت مخرج وصفات متعددة، وفي المخرج ضعف وقوة، و في الصفات ضعف و قوة.

والقوة الراححة بين صوتين، تتمثل في محصلة القوى في المخرج والصفات. و البحث عن إدغام الأصوات في اللغة هو الذي يساعد على تحديد القوي من الضعيف من الأصوات، فالذي يدغم في غيره هو الضعيف.

تحديد القوة والضعف في الأصوات: صفة الجهر في الصوت قوة قاهرة لصفة الهمس مهما كان مع الهمس من صفات أخرى قوية، الزاي مثلا أقوى من الصاد مع كون الصاد مطبقة والزاي مرققة، لأن جهر الزاي يقهر همس الصاد مع إطباقها.

يقول **ابن جني** في سّر الصناعة الإعراب: "و أما الصاد التي كالزاي فهي التي يقل همسها قليلا، ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاي، وذلك قولك في يصدر يصدر، وفي قصد: قصد. ومن العرب من يخلصها زايا فيقول يزدرد وقزد⁵."

فهنا ارتفع الصاد إلى قوة الزاي من اكتساب الجهر من الدال التي تليه، وهذا الصوت - أي صوت الزاي - هو أقوى صوت في هذا المخرج مع السين والصاد والزاي ولا يمكن أن يخرج عن مخرجه - أي عن مجموعته بجهرها وهمسها مختلطة. و الجهر وحده يقهر الهمس مع الشدة والترقيق أو الشدة مع الإطباق. وفي هذه الحالة لا نملك إلا صوت التاء فهو مهموس وشديد ومرقق وصوت الطاء وهو مهموس وشديد ومطبق.

قال تعالى: " كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿١﴾ ". القمر

نلاحظ هنا أن ازدجر هي صيغة افتعل، فالتاء هنا لم تصعد كالعادة إلى الطاء كما في الآية السابعة والعشرين من السورة نفسها،

قال تعالى: " إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿١٧﴾ " القمر.

ازتجر هي الصيغة الأصلية، فارتفعت التاء إلى الدال مع الجهر ولم ترتفع إلى الطاء ولو كانت الطاء بهمسها وشدتها وإطباقها أقوى من الزاي لارتفعت التاء إليها ولكنها ليست في مستوى الجهر، لذلك ارتفعت التاء إلى الدال.

ومع الصيغة الثانية اصطبر نجد أن التاء صعدت إلى الطاء مع الصاد حتى تعلو الصاد بشدة الطاء وإطباقها ولم تصعد إلى الدال الأقوى من الزاي والزاي أقوى من الصاد، لذلك اكتفت بصعودها إلى الطاء لأن الدال أقوى من الطاء بجهرها وشدتها فقط.

فالجهر صفة قاهرة للهمس ولو كان الهمس محاطا بالشدة والإطباق. وما تبقى من الصفات فهو واضح لا تحتاج إلى أي عناء لتحديده، فالإطباق أقوى من الترقيق والشدة أقوى من الرخاوة والشدة مع الإطباق أقوى من الرخاوة مع الإطباق، وللجهر

4- المصدر نفسه ج 1 ص 135.

5 - أبو الفتح عثمان بن جني سّر الصناعة الإعراب . د و تح :د: حسن هندواي دار القلم دمشق . الجزء الأول ص 50.

والهمس صور في الإدغام، فيجوز إدغام المجهور في المجهور كإدغام أي صوت مجهور في مثله، كالكاف مع القاف شق واللام مع اللام ملّ والباء مع الباء دبّ أو في مقاربه كالنون مع اللام أو النون مع الراء أو النون مع الميم.

قال تعالى: " مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ

مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥٠﴾ ". البقرة

ويجوز إدغام المهموس في المهموس كإدغام أي صوت مهموس في مثله أو في مقاربه . كفّ و بثّ و هشّ و حتّ ، و قطّ.

قال تعالى: " وَنَسِيتَ الْجِبَالَ نَسِيًا ﴿٦٠﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًا ﴿٦١﴾ ". الواقعة

ويجوز كذلك إدغام المهموس في المجهور كإدغام أي صوت مهموس في مقاربه المجهور أي من المجموعة نفسها بمهموسها و مجهورها كإدغام التاء في الدال أو إدغام التاء في الذال أو صعود الصاد إلى الزاي، ليخرج من الهمس ليدخل في الجهر.

قال تعالى: " وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤١﴾ " القمر.

ب- التعامل الصوتي الخاص بالقوة المتقدمة عن الضعف:

هذا النوع من التعامل الصوتي يسوقنا إلى الحديث عن ارتفاع صوت إلى صوت أقوى منه ليضارع الصوت السابق عليه، و لا يصل إلى حدّ الإدغام. وهذا ما يدفعنا إلى الحديث عن صيغة افتعل و ما يحدث فيها من انسجام بين الأصوات.

إن كل زيادة تطرأ على مبنى الفعل تضيف معنى جديدا على معناه الأصلي. و قد اجتهد علماء الصرف في تحديد هذه المعاني، و لصيغة افتعل معان نذكر منها ما يلي:

التشارك: نحو " اختصم زيد و عمرو".

مطاوعة الفعل الثلاثي: " خلطت الشعير فاختلط".

إظهار معنى الفعل: " اعتذر المسيء ".

الاجتهاد و الطلب لتحصيل الفعل: " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَنَا بِهٖ ۗ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ

أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ " البقرة.

الاتخاذ: " اختتم الرجل " اتخذ خاتما.

المبالغة في معنى الفعل: " اقتدر " بالغ في القدرة.⁶

الأمر الذي يهمننا أكثر في هذه الصيغة هو إبدال الطاء و الدال من التاء . وما هي القوانين الصوتية التي تكون سببا في هذا الإبدال ؟

و ما هي حدود هذا التأثير و التأثير، و ما هي الصفات المتحركة في ذلك !؟

يقول ابن جني : " ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظاء ، فتقلب لها تاؤه طاءً . وذلك نحو اضطرب، واضطرب، و اطرد، و اظطم . فهذا تقريب من غير ادغام".⁷

الصوت الذي يؤثر على التاء ويدفعه للعود إلى الطاء أو الدال هو الصوت السابق للتاء في هذه الصيغة وهو صوت الفاء في الفعل المجرد.

وهو مثلا صوت الصاد في الفعل صبر، و صوت الضاد في الفعل ضرب و صوت الطاء في الفعل طرب و صوت الظاء في الفعل ظلم و صوت الزاي في الفعل زجر و صوت الدال في الفعل دعى و صوت الذال في الفعل ذكر .

و لو كانت هذه الأصوات لاحقة للتاء، لما كان لها تأثير على التاء، و لبقيت التاء على حالها دون صعود. والأمثلة كثيرة على ذلك، و منها الصيغ: اختصم و اهتضم و اقتدر و اقتطع و افتتر و اعتظل و ابتدل.

فهذه الصاد و الضاد و الدال و الطاء و التاء و الظاء و الذال بعد التاء و لم تؤثر في التاء لترفعها إلى الطاء أو الدال، لأنها جاءت بعد التاء و لم تتقدم عنها، و لو تقدمت عنها لتسببت في رفعها إلى الطاء أو الدال . و إذا وقفنا قليلا عند الصوت السابق للتاء في صيغة افتعل، نجد الغالب من الأصوات إذا تقدمت عن التاء لا تؤثر في صعودها إلى الطاء أو الدال، و من هذه الأصوات على سبيل المثال الحاء و الهاء و الفاء و الكاف و العين و الغين و التاء و الحاء و الجيم و القاف و الميم و النون و الباء. فلماذا هذه الأصوات لا تؤثر في التاء و تتسبب في صعودها إلى الطاء أو الدال ؟

هذه الأصوات متنوعة فيها المجهور و فيها المهموس، و فيها الشديد و فيها الرخو و فيها المتوسط ، و كلها مرفقة، أي لا يوجد بينها المطبق.

و كل هذه الأصوات بعيدة المخرج عن التاء إلا التاء. إذن لا الجهر وحده ولا الهمس و لا الشدة ولا الرخاوة ولا المتوسط و لا اتحاد المخرج وحده يكفي لكي يؤثر في التاء حتى ترتفع إلى الطاء أو الدال. فإن المتكلم يقول اختمر و اهتم و افتتر و اكتسب و اعتصم و اغتلم و احتلم و اجتمع و اقتدر و امتن و انتصر و اتبع و ابتدل.

إذا ما هو سبب ارتفاع التاء إلى الطاء أو الدال؟

التاء و الطاء و الدال تخرج من حيز واحد و هو نطق الغار الأعلى، و تسمى الحروف النطعية.⁸ فهي كلها شديدة، و التاء و الطاء مهموسان و الدال مجهورة و التاء و الدال مرققان و الطاء مطبق، فالتاء هي أخف الأصوات الثلاثة، فهي أقل من الطاء في

6 - عبد الله إبراهيم محمد. مباحث في علم الصرف. دار سعد الدين. دمشق. الطبعة الأولى. 1999م. من ص 38 إلى ص 41 بتصرف.

7 - ابن جني، أبو الفتح عثمان. الخصائص. تح: محمد علي النجار. دار الهدى. بيروت. ط. 2. ج. 2. ص: 141.

8 - القيسي مكي بن أبي طالب . الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة تح: أسامة هيثم عطايا. دار الفارابي للمعارف . الطبعة الأولى 2005

الإطباق و أقل من الدال في الجهر، فهي في ارتفاعها لا تخرج عن عائلتها، فهي تصعد أولاً إلى الطاء و ثانياً إلى الدال حسب نوع و قوة المؤثر. فالتاء تصعد إلى الطاء مع الضاد و الظاء و الطاء و الصاد. و هذه الأصوات متناظرة فيما بينها، في الجهر والهمس والشدة والرخاوة و الجامع بينها هو الإطباق.

و حسن الانسجام بين هذه الأصوات الذي يريح المتكلم، و يخفف عنه عناء المرور من الإطباق إلى التزيق هو أن ترتفع التاء إلى الطاء و يؤتى بالإطباق في الصوتين في وقت واحد، لأن الصوت المطبق سابق للصوت المرقق. فالبحث عن الانسجام بين صفات الأصوات هو السبب في هذا الارتفاع الذي ينتج بدوره التخفيف عند المتكلم والاقتصاد في الجهد.

هنا لا بد من الإشارة إلى قضية في غاية الأهمية و هي ذروة الانسجام و الإدغام في صيغة افتعل مع ارتفاع التاء إلى الطاء مع الأصوات المذكورة.

فمثلاً مع ضجع، أحسن صيغة تلائمها هي اضْطَجِعْ، ولا يحسن القول اطَّجِعْ لأن الضاد أقوى من الطاء بالجهر والجهر لا يدغم في الهمس، لأن القوي لا يدغم في الضعيف. يقول ابن جني: " على أن سيبويه قد حكى عن بعضهم على طريق الشذوذ: اطجع في اضطجع و هذا شاذ لا يؤخذ به"⁹.

ولا يجوز أن يقال اضجع إلا إذا تقدمت التاء عن الفاء و أصبحت الصيغة اتفعل فترتفع التاء بالجهر والاطباق إلى مستوى الضاد و تدغم في الضاد رفعة واحدة لأن المهموس يدغم في المجهور.

ومع ظلم يحسن القول اظلم، لأن ظاء مجهورة و الطاء مهموسة و لا يدغم المجهور في المهموس. ولا يحسن القول اظلم أبداً. ويجوز القول اظلم مع تقديم التاء عن فاء اتفعل فتصبح اتفعل، فيتقدم الصوت الضعيف عن القوي و يدغم الضعيف في القوي لأن التاء تكون ساكنة و الفاء بعدها متحركة وهي الظاء. أما مع طلع و طرد فالأصوب أن تكون الصيغة على وزن اتفعل بتقدم التاء عن الفاء، فترتفع التاء إلى الطاء، و تدغم في الطاء في رفعة واحدة و يقال اطَّع و اطَّرد. و مع صبر فالأنسب لها اصطبر، ولا يجوز اصَّبر بأي شكل من الأشكال لأن التاء صوت شديد و الصاد رخو فلا يجوز إدغام التاء في الصاد. وفي ذكر يمكن أن يقال اذكر أو اذكر أو اذكر، و كل صيغة تأتي على تقدير خاص بما فاذكر على أساس اذتكر وعود التاء إلى الدال حتى تكون مجهورة كالدال لأن الجهر أقوى من الهمس.

و يقال اذَّكر على تقديم التاء عن الدال في صيغة اتفعل دون اتفعل، لترتفع التاء إلى الدال و تدغم فيها. ويقال اذَّكر على أساس أنّ التاء ترتفع إلى الدال ثم ترتفع الدال الساكنة إلى مستوى الدال لأنّ الدال رخوة و الدال شديد والضعيف يدغم في القوي فتدغم الدال بعد ارتفاعها إلى الدال في الدال المنقلبة عن التاء في صيغة اتفعل فتصبح اذَّكر.

و نعود إلى ارتفاع التاء إلى الدال و تحديد الدافع لذلك ؟

ترتفع التاء إلى الدال مع الزاي و الذال و الدال، و هذه الأصوات لا تتحد في المخارج، فالزاي أسلي و الذال لثوي و الدال نطعي، ولكنها تشترك في الجهر وتختلف في الشدة و الرخاوة فالذال شديد والزاي و الذال رخوان، و الدال أقوى من الذال و الزاي،

⁹ - ابن جني، أبو الفتح عثمان . سر الصناعة الإعراب . تح : د. حسن الهنداوي . دارالقلم . دمشق . الطبعة الأولى 1985م . الجزء الأول . ص. 217.

والذال أقوى من الزاي لشيوع الزاي أكثر في اللغة فإذا كان الدال مجهورا و شديدا من حيز التاء و الطاء فهو الأنسب لمضارعة الزاي و الذال لأن الجهر قاهر للهمس و الجهر لا يساويه إلا الجهر.

قال **السيّرائي**: " وذكر بدل الدال من التاء في افتعل، و ذلك إذا كان فاء الفعل أحد ثلاثة أحرف و هي الزاي والذال والدال و الدال مجهورة تشاكل الزاي و الذال في الجهر، وهي مخرج التاء".¹⁰ فتكون صيغة افتعل من زهر وزجر و دعى و ذكر، ازدهر و ازدجر و ادعى و اذدكر. فصيغة ازدجر أو ازدهر فهما تناسبان افتعل تمام التناسب أمّا اذدكر و ادعى فهما تناسبان أحيانا افتعل، على أساس ارتفاع التاء إلى الدال أولا ثم تدغم الدال الأصلية في الدال المبدلة من التاء في صيغة ادعى و تبقى الذال على حالها لأنهما يفترقان في الشدّة و الرخاوة و تبقى الصيغة اذدكر.

أمّا اذكر و ادعى فمن الأحسن أن تكون الصيغة على وزن اتفعل فتكون التاء سابقة للذال و الدال، فترتفع إليهما وتدغم في مقابلها حتى يحصل الانسجام من أيسر السبل، وتختصر العمليتان في عملية واحدة. و إذا كانت الصيغة اذكر، فيجوز أن تكون الصيغة افتعل أو اتفعل فعندما تكون الصيغة افتعل تتم العملية في ثلاث مراحل المرحلة الأولى ترتفع التاء إلى الدال فتصبح الصيغة اذدكر، ثم ترتفع الذال إلى شدّة الدال مرة ثانية ثم تدغم الدال المبدلة من الذال الساكنة في الدال الناجمة عن ارتفاع التاء المتحركة إلى الدال و تصبح الصيغة اذكر. و الأحسن من هذا أن تكون الصيغة على وزن اتفعل، فترتفع التاء والذال في وقت واحد إلى الدال و تدغم الدال الناجمة عن ارتفاع التاء إلى الدال في الدال الناجمة عن ارتفاع الذال إلى الدال وبهذا لا يكون التحول في ثلاث مراحل بل يختصر في مرحلة واحدة وفي وقت واحد ويكون الانسجام بألطف السبل .

قال تعالى: " **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ** " القمر.

إنّ التعامل الصوتي في صيغة افتعل يخضع لقانون القوة و الضعف، إلا أنّ القوة لها موقعها في الصيغة و هو تقدمها عن الضعف لأن الأصوات التي ترتفع معها التاء إلى الطاء، لكي يتم الانسجام هي كلها أقوى من صوت التاء لأنها أصوات مطبقة والإطباق هو الصفة المشتركة بينها. و هي معاكسة لقانون الإدغام، لأن مع الإدغام يتقدم الصوت الضعيف عن الصوت القوي، فيرتفع الصوت الضعيف إلى الصوت القوي الذي يليه، حتى يماثله فيدغم فيه، و يحدث الانسجام.

قال تعالى: " **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ**

مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ " فاطر.

10 - السيّرائي أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان . السيّرائي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه . تح: د. عبد المنعم فايز . دار الفكر دمشق . ط1 1983 . ص575.

المصادر و المراجع:

- 1- الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حجمها . أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي . تح د. محيي الدين رمضان . الجزء الأول . مؤسسة الرسالة ط 5 . سنة 1997م .
- 2- أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني . كتاب الإدغام الكبير في القرآن . تح د زهير غازي زاهد عالم الكتب . الطبعة الأولى 1993 .
- 3- أبو الفتح عثمان بن جني سر الصناعة الإعراب . د و تح :د: حسن هنداوي دار القلم دمشق . الجزء الأول .
- 4- عبد الله إبراهيم محمد . مباحث في علم الصرف . دار سعد الدين . دمشق . الطبعة الأولى . 1999م . بتصرف .
- 5- ابن جني ، أبو الفتح عثمان . الخصائص . تح: محمد علي النجار . دارالهدى . بيروت . ط 2 . ج 2 .
- 6- القيسي مكي بن أبي طالب . الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة تح: أسامة هيثم عطايا . دار الفارابي للمعارف . الطبعة الأولى 2005 .
- 7- ابن جني ، أبو الفتح عثمان . سر الصناعة الإعراب . تح :د: حسن الهنداوي . دارالقلم . دمشق . الطبعة الأولى 1985م . الجزء الأول .
- 8- السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان . السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه . تح: د . عبد المنعم فايز . دار الفكر . دمشق . ط 1 . 1983 .